

سلسلة: إتحاف الحاضر والبادي بتفريغ أشرطة العلامة الشيخ محمد بن هادي (٢ / ٣٦)

تفريغ سلسلة لقاءات بعنوان:

قراءات

في الرسائل الشخصية لشيخ الإسلام

محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله -

تدفع عنه الافتراءات

(اللقاء الثاني)

لفضيلة الشيخ العلامة

محمد بن هادي المدخلي - حفظه الله -

اعتناء

أبي قصي المدني

- عفا الله عنه وعن والديه ومشايخه والمسلمين أجمعين -

بسم الله الرحمن الرحيم

«قراءات في الرسائل الشخصية لشيخ الإسلام الإمام محمد بن عبد الوهاب

تدفع عنه الافتراءات» (اللقاء الثاني) (١)

لفضيلة الشيخ العلامة د. محمد بن هادي المدخلي - حفظه الله -

«السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه

بإحسانٍ إلى يوم الدين، أمّا بعد.

فحياكم الله، وأهلاً وسهلاً، ومرحباً بكم - معاشر الأجابة المستمعين - في كل مكان،

حياكم الله في هذا اللقاء الذي هو اللقاء الثاني من لقاءاتنا التي نسأل الله - جلّ وعلا - أن

يجعلها مباركة، هذه اللقاءات التي تحمل هذا العنوان: «قراءات في الرسائل الشخصية لشيخ

الإسلام محمد بن عبد الوهاب تدفع عنه الافتراءات».

هذا اللقاء في هذه الليلة ليلة الجمعة، والتي هي مساء يوم الخميس الموافق للخامس

والعشرين من ذي القعدة أو ذي القعدة - كلاهما جائز - من عام واحدٍ وأربعين وأربع مئة

وألف من هجرة المصطفى ﷺ، والتي نستكمل فيها ما مضى - في لقائنا السابق فيما تقدم معنا؛

حيث ذكرنا في لقائنا السابق عند الكلام على سيرة الشيخ ونشأته وبداية دعوته - رحمه الله

تعالى وغفر له - عدداً من الأمور، وذكرنا في آخر اللقاء ما كان من أمر شيوخه - رحمه الله

تعالى -، وبيننا من خلال ذكر هؤلاء الأشياء الرد على الفرية التي نُسبتَ وافترت على هذا

الإمام المُجدد المصلح المجاهد الذي جدّد الله به الدين في النصف الثاني من القرن الثاني عشر -

- رحمه الله تعالى -.

(١) ألقاه فضيلته يوم الخميس ٢٥ ذو القعدة ١٤٤١ هـ.

وذكرنا شيئاً من ثناءات أهل العلم عليه، والثناءات في الحقيقة كثيرةٌ عليه، ولا نستطيع أن نأتي عليها أو أن نحصرها.

ولكن الغريب في هذا الباب - في باب الاعتراف بفضل هذا الإمام - رحمه الله تعالى - الغريب أنه قد شهد له بالفضل وأذعن له بالعلم والتقدم فيه، وأقر له بالفقه في الدين وبال دعوة إلى الخير وبالإصلاح مَنْ هم ليسوا من المسلمين، فيا لله العجب! كيف يحاربه من يزعم العلم ويدّعي العلم؟! وقد عرف فضله حتى الكفار، فهذا والله من أعظم العجب، ولكن هو من حجة الله - سبحانه وتعالى - الدامغة؛ إذ جعل هذا الرجل المجاهد يشهد له العقلاء حتى من غير المسلمين، فيا للأسف أن يصفه من يدّعي العلم بما هو منه براء - رحمه الله تعالى -.

واليوم أجدني مضطّر إلى ذكر شيءٍ من كلام هؤلاء الناس في هذا الباب في الثناء على الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذين عرفوا قدره وأنصفوه - رحمه الله تعالى -.

فمن هؤلاء **علامة العراق السيد محمود شكري الألوسي** - رحمه الله -، حيث ذكر في آخر «**تاريخ نجد**» ذكر الشيخ محمد - رحمه الله رحمةً واسعة -، فقال عنه: (إنه من بيت علم في بلاد نجد)، وذكر الأدلة على ذلك؛ من كون أبيه الشيخ عبد الوهاب عالماً فقيهاً قاضياً على مذهب الإمام أحمد، وكانت له المعرفة التامة بالفقه الحنبلي وبالحديث.

وكذلك ذكّر جدّه الشيخ سليمان - رحمه الله تعالى -، والشيخ سليمان - كما ذكرنا بالأمس - كان عالماً فقيهاً، وهو أعلم علماء نجد في زمانه، كانت له اليد الطولى في العلم، وانتهت إليه رئاسة العلم في نجد، وكان في عهد البهوتي - رحمه الله -.

والحاصل ذكّر في هذا الكتاب - أعني الألوسي رحمه الله - ذكّر ذلك كله عن الشيخ محمد، ثم ذكر قوله: (والحاصل أنه كان من العلماء الأمرين بالمعروف، والناهين عن المنكر،

وكان يُعَلِّمُ الناس الصلاة وأحكامها، وسائر أركان الدين، ويأمر بالجماعات، وقد جدَّ في تعليم الناس ذلك، وحثهم على الطاعة وأمرهم بتعلم أصول الإسلام وشرائطه، وسائر أحكام الدين، وأمر جميع أهل البلاد بالذاكرة في المساجد كل يوم بعد صلاة الصبح وبين العشاءين -الذاكرة- بمعرفة الله، ومعرفة دين الإسلام، ومعرفة أركانه، ومعرفة النبي ﷺ ونسبه، ومبعثه، وهجرته، وأول ما دعا إليه كلمة التوحيد وسائر العبادات التي لا تنبغي إلا لله؛ كالدعاء والذبح والنذر والخوف والرجاء والخشية والرغبة والرغبة والتوكل والإنابة، وغير ذلك، فلم يبقَ أحدٌ من عوام أهل نجد جاهلاً بأحكام دين الإسلام، بل كلهم تعلموا ذلك بعد أن كانوا جاهلين إلا الخواص منهم) يعني كان التعليم قليلاً والعلم بالدين قليل عند الخواص، فأصبح عوام أهل نجد لا تجد جاهلاً بأحكام دين الإسلام، بل كلهم تعلموا ذلك، وانتفع الناس به.

يقول -رحمه الله-: (انتفع الناس به من هذه الجهة الحميدة، أي سيرته المرضية وإرشاده النافع) -رحمه الله تعالى-.

هذا ملخص كلام **علامة العراق في زمانه السيد محمود شكري الألوسي** -رحمه الله- في آخر «**تاريخ نجد**» الذي هو من مؤلفاته من تصنيفه -رحمه الله-، فشهد للشيخ هذه الشهادة العظيمة، ويكفي منها ما سمعنا وهو قوله: (إنه دعا إلى الله -جلَّ وعلا- وجاهد في هذا الباب، حتى لم يبقَ أحد من عوام أهل نجد جاهلاً بأحكام دين الإسلام، بل كلهم تعلموا ذلك بعد أن كانوا جاهلين إلا الخواص منهم) يعني أن العلم ما كان إلا عند قليلٍ جداً خواص في بلاد نجد، فبعد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب حينما قام -رحمه الله- وبدأ يدعو إلى دين الله وانتشرت دعوته؛ أصبح عوام أهل نجد يعلمون أحكام دين الإسلام، بل كلهم تعلَّموا ذلك بعد أن كانوا جاهلين.

وهكذا ذكره عبد المتعال الصعيدي في كتابه «المجددون في الإسلام» فقال عنه بعدما

ذكر نسبه وولادته ونشأته وشيوخه ورحلاته، قال - رحمه الله - بعد كلامٍ سابقٍ له في هذا الكتاب، قال: (فلما عاد الشيخ إلى بلده بعد رحلته الطويلة، وقد تهيأ له ما لم يتهيأ لغيره من علماء نجد، فكان أوسع منهم علماً، وأعرف بالعلماء السابقين الذين كانت لهم جولة في الإصلاح، ولم يقع في ذلك الجمود والركود الذي وقع فيه علماء عصره، حتى أَلْفُوا ما فيه من البدع، وأخذوها على أنها من أصول الدين وأركانه، لما عاد الشيخ إلى بلده لم يرَضَ بما رضى به من علماء نجد في ذلك الزمان من السكوت على تلك البدع، وأراد أن يعيد محاربتها ليعيد عهد أسلافه من الحنابلة ولا سيما شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -).

وكان قد دَرَسَ كتبه ورسائله الإصلاحية في أول نشأته، فأخذ يدعو إلى مثل ما دعا إليه شيخ الإسلام ابن تيمية قبله من التوحيد لله - تبارك وتعالى - وإفراده بالعبادة وحده، وإنكاره للتوجه إلى أصحاب القباب والقبور، وإنكاره للتوسل بالأولياء والأنبياء إلى قضاء حاجاتهم).

فبدأ الشيخ محمد - رحمه الله تعالى - على هذا الطريق، ورأى منه أهل بلاده في نجد المثابرة على هذه الدعوة، ولما رأوا منه ذلك قاموا باضطهاده، فتركهم - رحمه الله - في بلده، وارتحل إلى الدرعية بنجد، وكان أميرها محمد بن سعود - رحمه الله -، فعرض عليه دعوته، فقبلها، وقام بحمايتها، ونشرها في بلاد العرب.

ولم يزل الشيخ يقوم بدعوته في حماية هذه الإمارة إلى أن مات - رحمه الله تعالى -، فشهد له - رحمه الله - بهذه الشهادة العظيمة التي سمعناها.

وهكذا أيضاً مَن جاء بعد الشيخ محمد بن عبد الوهاب في هذه الأعصار، فقد شهدوا له بذلك حتى يومنا هذا.

فهذا كتاب عمر أبو النصر المعروف بكتاب «عمر أبو النصر عن ابن سعود» يعني عن تاريخ الدولة السعودية، يعنونوا الكتاب باسم «ابن سعود» وهو في تاريخ الدولة السعودية، يقول عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ما يلي: (الواقع أنَّ دعوة ابن عبد الوهاب ليست غير دعاية صالحة موفقة لنبد البدع والمفاسد التي أنهكت الدين، والتي عمل بعض المشايخ على الترويج لها، وذيوعتها، وانتشارها بين الناس)، يعني الذين عندهم تصوف، المشايخ الذين عندهم تصوف وانحرافاً عن منهج السلف، هم الذين عملوا على الترويج لهذه البدع ونشرها بين الناس.

ثم قال - رحمه الله -: (وإذا ذهبنا نبحت الدعوة في مصادرها، ونتولّاها بالنقد، والبحث، والتحقيق؛ وجدنا أنها لا تختلف عن مذهب الإمام أحمد بن حنبل إلا في بعض التبسيط والتطويل)، يعني في المسائل التي تحتاج إلى بسط كان يبسط فيها، وهذا ليس بمستغرب؛ لأنَّ عصره يحتاج إلى ذلك.

ثم قال - رحمه الله -: (وليس للوهابيين مذهبٌ خاص يدعى باسمهم كما يقول بعض الحاملين عليهم، وإنما مذهبهم مذهب الإمام أحمد، وليس فيما يطلبونه ويدعون إليه ما ينافي السُّنَّة ولا يتفق مع القرآن الكريم، وهم ينكرون هذا التضليل الذي يحاوله بعض الشيوخ وغير الشيوخ، وهذا الإغراق في إقامة القباب حول الأضرحة والقبور والصلاة فيها وإقامة المباخر وطلب الشفاعة من أصحابها، والإسلام ينهى عن هذا، وليس في الإسلام وسيط) يعني بين الله وبين الخلق، (وليس هناك من يشفع عنده إلا بإذنه) إلى آخر كلامه.

فمن أراد أن يراجعه فليراجعه في هذا الكتاب الذي ذكرناه لأبي النصر المسمى بـ «ابن

سعود».

والعجب -يا معشر الأحبة- العجب أن نجد -كما قلت لكم في أول الكلام- أن نجد الكفار يشهدون لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- بصحة ما هو عليه، وإن تعجب فهذا هو والله العجب، حينما ترى الكافر قد عرف الصواب والحق في هذا الرجل، أعني الإمام محمد بن عبد الوهاب، وترى من يتسبب إلى العلم مستمر في الباطل، ومحاربة هذه الدعوة المباركة.

فهذا **المستشرق المعروف بـ«سيدو» يقول في «تاريخ العرب العام»** -وسيدو هذا مستشرق شهير، وله كتابات كثيرة، واهتمامات كثيرة عن العرب، فيقول في هذا التاريخ الذي ترجمه إلى العربية عادل زعير، يقول حينما تكلم على ثورات العرب للتحرر من سيطرة الدولة التركية الدولة العثمانية يقول: (ومن ثم نرى أن جزيرة العرب استردت استقلالها التام تقريباً منذ أوائل القرن الثامن عشر بفضل جدّها وضعف أعدائها، ولم يبق لها إلا أن تؤيد نصرها بمركز يلتف حوله جميع النفوس، وهذا ما حاولت صنعه قبيلة ظهرت في نجد حوالي سنة (١٧٤٩) -يعني بالتاريخ النصراني- وهذا ما حاوله الوهابيون النافذ حتى الآن، والذي سيكون له تأثير دائم في مصير جزيرة العرب -ولا ريب-، واسم واضع هذه السيطرة هو ابن عبد الوهاب التميمي الذي أكبّ على دراسة آداب العرب وعلومهم منذ صباه، والفقه، -يعني أكب على الفقه- أكثر ما عني به، واطلع على آراء رجال المذاهب وقصد البصرة وفارس وبغداد سائحاً، فنمت مداركه -يعني متعلم-، فأنعم النظر في حال بني قومه، وميولهم، وغرائزهم، وطبيعة قواهم، فرأى أنه إذا ما حمل المسلمين على مراعاة أحكام القرآن رجعت إليهم تلك الحماسة التي تعودتها عظمة الماضين).

الله أكبر - معشر الأحبة - انظروا هذا المستشرق، هذا الكاتب المستشرق كيف يكتب عن الإمام أحمد عبد الوهاب وعن دعوته التي يلخصها في هذه الكلمات أنه يحاول جاهداً إلى إرجاع عظمة الدين التي كانت عند الماضيين إرجاعها للناس في زمانه.
قال في هذا الصدد بعد مواصلاً: (ولم يكن للإصلاح الذي بدا زعيماً له هدفٌ سوى إعادة شريعة الرسول الخالصة إلى سابق عهدها).

وأنا يهمني - يا معشر الأحبة - هذه الكلمات بالذات، فاسمعوها - حفظكم الله -.
يقول: (لم يكن للإصلاح الذي بدا زعيماً - يعني الإمام محمد بن عبد الوهاب - ليس له هدف سوى إعادة شريعة الرسول الخالصة إلى سابق عهدها).

الله أكبر، كيف هذا المستشرق يتوصل إلى هذا ويبقى من يدّعي علم الشريعة وعلوم الإسلام، يحارب هذا الإمام، ويحارب دعوته، لا إله إلا الله، فإنها حينئذٍ تنطبق على هؤلاء:
﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

ثم يقول مواصلاً يقول: (وحارب ابن عبد الوهاب فعاليات المسلمين - يعني أفعالهم - في إحاطة محمد ﷺ بتعظيم حرّمه الله في كثير من كلامه).

انظروا - يا معشر الأحبة - كيف هذا المؤرخ الأجنبي المستشرق يتكلم عن ديننا، ويعرف هذا عن ديننا تعاليم هذا المصلح الكبير الداعية إلى الله المجدد لما لندرس من دين الإسلام، وأنه - رحمه الله - إنما قصد إرجاع الناس إلى الدين الصحيح، وأنه إنما قصد تنقيته من شوائب البدع والوثنية، وكيف أنصفه وعرف أن الذي جاء به هذا الإمام إنما هو دين الرسول الصحيح، وأنه أراد أن يخلصه مما طرأ عليه من الأمور التي لا تتفق مع ما جاء به الرسول ﷺ، فعرف هذا كله، ولم يعرفه كثيرٌ ممن ينتسب إلى الإسلام حينما جاء به شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب.

يقول: (فحارب -يعني الإمام محمد- فحارب تقديس قبور الأولياء، فحمل أنصاره على هدمها، وحارب ابن عبد الوهاب ما كان يعيبه على الترك من فساد الأخلاق).

واليوم نرى من يمجّد الترك مع ما فيهم من فساد الأخلاق وفي بلادهم، ويجارب بلاد الإسلام التي تحكم بالإسلام، وتحكّم الإسلام.

ومهما يكن فنحن لا ندّعي لأنفسنا -معاشر الأُحبة- ولا لبلادنا الكمال، لا، ولكن -يا معاشر الأُحبة- ظهور الإسلام والتوحيد والسنة حسنةٌ عظيمةٌ تصغر معها بقية المعاصي، وظهور الشرك بالله العظيم الشرك الأكبر والشرك الأصغر وظهور المعاصي العظيمة كالزنا والخمر، ونحو ذلك، فضلاً عن المثلية، ونحو ذلك، تصغر معها الأعمال الخيرية الإسلامية كفتح المساجد، ونحو ذلك.

فإذن: حسنة التوحيد والدعوة إلى الكتاب والسنة والاستقامة عليها، هذه حسنةٌ عظيمةٌ تصغر معها بقية المعاصي، وأما الدعوة بالعمل ببعض الأخلاق الإسلامية مع ظهور الشرك الأكبر والشرك الأصغر والبدع، فهذه بليّةٌ عظيمةٌ تصغر معها بقايا أو بعض الأخلاق الإسلامية الحميدة، أو بناء المساجد وفتح المساجد.

فالحاصل -معاشر المسلمين ومعاشر الأُحبة الكرام-:

انظروا إلى شهادة هذا المستشرق التي سمعنا أولها حينما قال: (حارب ابن عبد الوهاب فعاليات المسلمين -يعني أفعالهم- في إحاطة محمد ﷺ بتعظيم حرّمة الله في كثير من كلامه، وحارب تقديس قبور الأولياء، فحمل أنصارهم على هدمها).

حارب التقديس -يا معاشر الأُحبة-، ولم يجارب الأولياء، لكن حارب تقديسهم وإعطائهم منزلة الألوهية.

ثم يقول: (وحارب ابن عبد الوهاب ما كان يعيبه على الترك من فساد الأخلاق، وحارب تعاطي المسكرات، ومما ذكّر الناس به هو أن الشريعة تأمر بأن يؤتوا الزكاة، وتحرم عليهم الزنا، وتلزم القضاة بالنزاهة التامة) يعني البعد عن الحكم بغير ما أنزل الله وأخذ الرشى، ونحو ذلك.

قال: (ومما عني به على الخصوص إبقاء روح الجهاد في قومه لما أدى إليه الجهاد من نصر- عجيب منذ قرون) يعني أن الاسلام أُعْلِيَ بالجهاد في سبيل الله.

والشيخ محمد - رحمه الله - عني عناية تامة بإبقاء روح الجهاد في قومه، لماذا؟ حتى يحصل النصر العجيب لهذه الدعوة، وينتصر الإسلام، ويعلو الإسلام، ويظهر الإسلام، وينتشر الإسلام، وينقمع أهل الشرك وأهل الفساد.

ثم قال - شهادة أخرى - قال: (ولا يمكن أن تنعت أقواله بالإلحاد على العموم لما بدت منها من تكرار صور القرآن، وموافقته تعاليم الإسلام الصحيحة، وقد كان له بالغ الأثر لمبادئه في هذا الباب، فصار صناديد قبائل نجد ينضمون إلى لوائه أفراداً وأرسالاً).

وعلى كل حال آخر كلامه الجميل يقول عن الإمام محمد بن عبد الوهاب: (فخلع على دين محمد رونقاً جديداً، وبدّد الخرافات التي زالت مع الزمن، فأظهر القرآن خالياً من جميع ما عُزِيَ إليه من الشوائب، وما لبثت النفوس التي أرهقتها شروح أئمة المسلمين المطولة الغامضة رجعت إلى مبادئ عامة بسيطة وواضحة، فتقبلت خطط ابن عبد الوهاب الإصلاحية بقبول حسن، ودعا الوهابيون إلى الفضيلة خلافاً للقرامطة الذين تذرّعوا بسوء المناحي، فلم يبالوا بغير قضاء المآرب).

لا إله إلا الله - يا معشر الأحبة -:

كيف هذا الرجل هذا المستشرق كيف يصف زمان دعوة الشيخ - رحمه الله تعالى - بهذا الوصف الحسن، وكيف يصف الزمان الذي قبله بامتلائه بالخرافات، وكيف يصف مقاومة الشيخ وإصلاحه مما لم يعرفه كثير من المسلمين، وكيف يصف محاسن هذا الشيخ وخدمته العظيمة الجليلة لدين الله.

والله لقد أحسن، والله لقد أنصف - وإن كان كافرًا -، والله لقد عرف الحق لهذا الإمام ولأهله من أئمة الدعوة النجدية الذين منَّ الله بهم من عنده - سبحانه وتعالى - على المسلمين في هذه الأعصار بدايةً من الشيخ محمد وأبنائه وتلاميذه وأحفاده والإمام محمد بن سعود وأبنائه وأحفاده إلى يوم الناس هذا من هاتين الأسرتين الكريمتين، أسرة آل الشيخ وأسرة آل سعود، رحم الله ميتهم، ووفق حيَّهم، عرف لهم فضلهم، وعرف لهم مكانتهم، وعرف لهم جدَّهم واجتهادهم، وعرف لهم إحسانهم إلى أهل نجد وإلى أهل جزيرة العرب، والله لقد أحسن وأنصف وعرف الحق لأهله ولو كان كافرًا، وإنَّ الشهادة الصحيحة هي التي يشهد بها الأعداء، كما قال الشاعر:

والحق ما شهدت به الأعداء

ملخص كلامه قال: (ودعا الوهابيون إلى الفضيلة) ونعم صدق، فقد دعوا إلى الفضيلة في كل الأبواب في توحيد الله - سبحانه وتعالى - بأقسامه، ودعوا إلى الحق والفضيلة في شريعة الله - سبحانه وتعالى - في جميع أبوابها، ودعوا إلى الحق والفضيلة في الأخلاق والآداب.

فإذا كان - يا معشر الأحبة - هذا المؤرخ هذا المستشرق الأجنبي الكافر يعرف من حقيقة الشيخ ما لا يعرفه غيره، فإننا والله إننا والله لنعزِّي أنفسنا في أقوام ينتسبون إلى العلم، بل وإلى المشيخة، بل وتلقَّى عليهم الألقاب والهالات ويعظَّمون في الناس وهم لا يعلمون من الدين

الذي دعا شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بعض ما علمه هذا المستشرق الكافر، فيلى الله المشتكى.

ولعلي لا أزيد على هذا هذه الليلة، وأقف عنده.
والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه
وأتباعه بإحسانٍ إلى يوم الدين»^(١).

اعْتَنَاءُ

أَبِي قُصَيِّ الْمَدَنِيِّ

— عَفَا اللَّهُ عَنْهُ وَعَنْ وَالِدَيْهِ وَمَشَائِخِهِ وَالْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ —

فِي السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ ذِي الْقَعْدَةِ عَامٍ وَاحِدٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ وَأَلْفٍ مِنَ الْهِجْرَةِ

tafrigh-1438@hotmail.com

(١) انتهى هذا اللقاء، فما كان من صوابٍ فمن الله وحده، وما كان من خطأٍ أو سهوٍ أو غفلةٍ أو نسيانٍ فمن نفسي
والشيطان، وأستغفر الله العظيم.